وما سواها (329)

مـــــــــدارات ما نكتـــــــــب!!

د. صـادق السامرائـي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

واقعنا الثقافي تتأجج فيه ثورة كتابية متحركة بإتجاهات متاهية بلا رؤية , أو بوصلة تحدد المسار , وتمنح الأقلام هدفا واقعيا يصلح لبناء الأمة وتواصل الأجيال.

فالكل يكتب , ما دام يجيد الضرب على أزرار (الكي بورد) , وتلك محنة حضارية تشوش فضاءات النظر , وتملي على القارئ الشعور بالنفور والغثيان مما يُنشر , لأنه ما عاد يعني سوى أنه مجرد كلام , وأضغاث تصورات وتفاعلات تطارد سرابات , وتحلق في وديان الهذر!!

فهل إندرست الكتابة , وداستها سنابك التقنيات المعاصرة , أم أن لها دور وقيمة في صناعة الإنسان , بعد ان كانت الأرشيف الحضاري الجامع للأجيال في بودقة كتاب؟

هذه بعض الإقترابات من فضاءات الكتابة المنكوبة بنا!!

أولا: ماذا نكتب؟!!

كتبنا وكتبنا وسنبقى نكتب ونكتب , وما كتبناه ونكتبه يأخذنا بعيدا عن جوهر المأساة ولب المعاناة والمقاساة اليومية للإنسان ، ويحوّل كتاباتنا إلى أبواق دعائية للكراسي ، ويعتّم على ما يجري من التفاعلات السلبية المناهضة للوجود الصحيح للإنسان والوطن والحياة.

وما نكتبه لا يكتبه الكاتب في الدول المتقدمة ، ولا يقترب منه مثلما نقترب.

إن ما نكتبه يُظهر آليات تفكيرنا المنحرفة ، ونفوسنا المضطربة ورؤيتنا المشوشة.

وبما نكتبه نساهم بتعزيز السلوك القائم وتوفير دواعي إستمراره , والحفاظ على إنجازاته الضارة والمدمرة.

فهل غيّرت كتاباتنا واقع الحال والمآل؟!!

إننا بالكثير مما نكتبه نساهم في برامج التضليل وغسل الأدمغة , وإشاعة ثقافة البهتان وزعزعة الحقيقة وتمرير الأكاذيب ، ومؤازرة الذين يسرقون وينهبون ويعبثون بالبلاد والعباد.

وأصبحت نسبة كبيرة من الكتابات تخطها أقلام وعاظ السلاطين ، ولكن بأساليب جديدة وتوجهات تخدم في نهايتها تكريس الحالة القائمة ، ومناهضة التغيير والتفاعل المعاصر مع الحياة.

ومعظم الكتابات ، عبارة عن إحتفاليات أحزان وآلام وإندفاع نحو إستلطاف الأوجاع والقهر والذل

ما نكتبه لا يكتبه الكاتب في الدول المتقدمة ، ولا يقترب منه مثلما نقترب.
إن ما نكتبه يُظهر آليات تفكيرنا المنحرفة ، ونفوسنا المضطربة ورؤيتنا المشوشة.

أصبحت نسبة كبيرة من الكتابات تخطها أقلام وعاظ السلاطين ، ولكن بأساليب جديدة وتوجهات تخدم في نهايتها تكريس الحالة القائمة ، ومناهضة التغيير والتفاعل المعاصر مع الحياة

معظم الكتابات ، عبارة عن إحتفاليات أحزان وآلام وإندفاع نحو إستلطاف الأوجاع والقهر والذل والهوان والحرمان

فقدت الكلمة قيمتها ودورها وتأثيرها في الواقع الإجتماعي

والهوان والحرمان ، وربط ذلك بالديمقراطية والقيم والمعايير الإنسانية النبيلة السامية , وفي ذلك إجهاز على الحقيقة وإطفاء للنور المعرفي ومنع للوعي الصادق الأصيل.

وقد كتب الكتاب عشرات الآلاف من الصفحات عن الذي مضى وما إنقضى ، وتراهم مصفدين في لحظة زمنية ، وحالة يرفضون أمامها أبسط بديهيات الوجود وقوانين الزمن ومعاني ومعايير الحياة ، حتى تحولت الكتابات إلى موضوعات غثيثة مملة ومقرفة ، لا تأتي بجديد ونافع ومتواكب مع الحاضر والمستقبل.

نصوص ومقالات وغيرها وغيرها ، لكنها تدور في ذات النقطة وتغرف من ذات البئر ، وكأن الأجيال تدور في ناعور المراوحة وإعادة تصنيع المآسي والأحزان والويلات ، التي تحولت إلى طقوس عقائدية وسماوية لا يمكن النظر إلى الحياة إلا بمنظارها الأسود.

ما نكتبه لا يرقى إلى مستوى الكتابات التي نقرؤها لكتاب الدول المتقدمة ، ولن يبني حالة جديدة ذات قيمة حضارية وثقافية مؤثرة في صناعة الأجيال وبناء المستقبل ، إلا فيما قل جدا وندر تماما.

حتى فقدت الكلمة قيمتها ودورها وتأثيرها في الواقع الإجتماعي والسياسي ، وما عادت تهم أو تعني أحدا ، وإنما أصبحت جميع المواقع والصحف ، عبارة عن منافذ للترويح النفسي ، وإنسكاب الإنفعالات والعواطف والتصورات.

وأصبح السائد هو الكتابة عن الأشخاص لتنمية شهرتهم وتحقيق وجودهم في وعي الناس ، ولن تؤثر الكتابات فيهم ، لأن لكل كرسي طابور أقلام منتفعة ، تسعى إلى تسفيه ومواجهة ما يُكتب حوله ، وبهذا يتحقق الدعم الإعلامي في الوعي العام.

إن الأقلام مطالبة بثورة حقيقية على مستوى العقل والنفس ، ولابد لها من مراجعة رؤاها وتصوراتها وآلياتها ، وأن تفكر بالمصلحة الوطنية أولا وأخيرا ، بعيدا عن النرجسية ، وتفخيم الذات ، والإمعان في وهم المعرفة وإمتلاك الحقيقة المطلقة.

فالكاتب لم يقدم مثلا ديمقراطيا يُحتذى به ، وعبّر عن المأساة السلوكية وعززها فيما يكتب ، ولهذا فأن سلوك الكراسي بأجمعها قد تأسن ، وما تبدل أو إمتلك رؤية ذات قيمة وطنية وحضارية.

ولذلك فأن الثورة الحقيقية المطلوبة ، هي ثورة ثقافية.

ثورة القلم والعقل والنفس والروح.

وبدون هذه الثورة التي على الكتّاب أن يقوموا بها ، لن تتحقق مصالح الإنسان ، وسيضيع الوطن ، وسيكون الكاتب أو المثقف ، هو الذي أسهم بفاعلية واضحة في هذا التفتت والإنحدار والضياع الحضاري والأخلاقي والتأريخي المروّع!!

"ثورة الأقلام صارت مطلبا لانطلاقٍ نحو آتٍ واعدٍ "

ثانيا: نكتب ولكن!!

معظمنا قرأ لكتاب عرب يجيدون صنعة الكتابة ومهاراتها , وبرعوا فيها وتفوقوا , وما قرأنا لكاتب من بلادنا وتابعناه , لغياب قدرات الكتابة وتقنياتها.

قد (يزعل) الأخوة والأخوات , لكنها حقيقة علينا أن نواجهها , ونتعلم منها فنطوّر مهاراتنا الكتابية , لكي نؤثر في الواقع ونخلق تيارا ثقافيا معرفيا , يمتلك أدوات التغيير في مسيرة الحياة.

والسياسي ، وما عادت تهم أو تعني أحدا ، وإنما أصبحت جميع المواقع والصحف ، عبارة عن منافذ للترويح النفسي ، وإنسكاب الإنفعالات والعواطف والتصورات

إن الأقلام مطالبة بثورة حقيقية على مستوى العقل والنفس ، ولابد لها من مراجعة رؤاها وتصوراتها وآلياتها ، وأن تفكر بالمصلحة الوطنية أولا وأخيرا ، بعيدا عن النرجسية ، وتفخيم الذات ، والإمعان في وهم المعرفة وإمتلاك الحقيقة المطلقة

لذلك فأن الثورة الحقيقية المطلوبة ، هي ثورة ثقافية. ثورة القلم والعقل والنفس والروح

لكي تكتب ما يُقرأ عليك أن تتعلم مهارات أسلوبية , وتقنيات إبداعية تتفاعل مع القارئ وتشده إلى ما يقرأ , ولا بد أن يتمتع بما يقرأ , وإلا لماذا يقرأ , إذا كانت القراءة تتسبب له بوجع الرأس!!

علينا أن نتعلم كيف نكتب ما يُقرأ , لا أن نتوهم بأن كل ما يُكتب يُقرأ , فالعالم قد تغير وأصبحت الصورة تغني عن كتابة , فلا بد من مواكبة أسلوبية وثورة في تقنيات الكتابة وآلياتها

وقد كتبتُ كثيرا عن محنة الكتابة , وضرورة التواصي بتقنياتها وأساليبها , ومعرفة فنونها ومهاراتها الأسلوبية , والتفاعل بها مع القارئ لا مع الكاتب , فلجمتُ جماح قلمي , وأرغمته على الإختصار والإقتصاد , والتكثيف والتركيز والتوضيح والمباشرة , فالقارئ يريد ما قل ودل , وأن يعرف لا أن يجهد لمعرفة ما يُراد قوله.

ولا أدري أن ما ذهبت إليه صحيحا أم حالة أخرى قد لا تفيد , لكن محاولات صب الأفكار في أقل الكلمات تتواصل , وأتمنى أن أقطع شوطا مهما في دروبها الوعرة , لأنها تتطلب تقنيات وأساليب ومعارف متراكمة , وقدرات على وعي فحوى الكلام المسطور.

فلكي تكتب ما يُقرأ عليك أن تتعلم مهارات أسلوبية , وتقنيات إبداعية تتفاعل مع القارئ وتشده إلى ما يقرأ , ولا بد أن يتمتع بما يقرأ , وإلا لماذا يقرأ , إذا كانت القراءة تتسبب له بوجع الرأس!!

فمعظم الكتابات الطويلة التي تتناول موضوعات معقدة , ينحى كتابها إلى زيادة تعقيدها , وإفهام القارئ بأنهم لا يعرفون ماذا يريدون قوله , فتجد نفسك في متاهة , وتنفر من المكتوب من أول عبارة أو فقرة.

وما يحزن أن موضوعات قيّمة وأفكار طيبة تقدم للقارئ بأسلوب غثيث.

فعلينا أن نتعلم كيف نكتب ما يُقرأ , لا أن نتوهم بأن كل ما يُكتب يُقرأ , فالعالم قد تغير وأصبحت الصورة تغني عن كتاب , فلا بد من مواكبة أسلوبية وثورة في تقنيات الكتابة وآلياتها , للوصول إلى الناس , وحثهم على التفاعل مع المكتوب , والتمتع بقراءته.

فهل أن ما نكتبه يمنح متعة القراءة؟!!

ثالثا: لمن نكتب؟!!

كتبتُ عن هذا الوضوع العديد من المقالات , التي جوبهت بالرفض والنقد القاسي من قبل الذين يكتبون لأنفسهم ولعدد قليل ممن يسمونهم بالنخبة , وعلى حد قول أحدهم " مَن يقرأ ما نكتب إنهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد..."

وهو إعتراف بأن الكاتب يكتب لنفسه ولبعض الذين يكتبون لأنفسهم مثله.

وتطالعني هذا الصباح كلمات لأحد الأساتذة المرموقين :

"الكتّاب والصحفيون الرواد كانوا يكتبون للناس...اليوم هناك الكثير من الكتاب ورجالات الصحافة يكتبون لأنفسهم وليس للناس يرجى الإنتباه".

وأعود إلى المقالات التي نشرتها سابقا بهذا الخصوص , وأجد أن ما يُكتب لا يُقرأ , لأنه لم يُكتب للناس , وإنما كتبه الكاتب لنفسه وحسب.

تعلمت من تفاعلي مع المجلات الرصينة العالمية , أنهم لكي ينشروا لي مقالة يحاسبونني على كل كلمة وعبارة , ويطلبون إعادة كتابة العبارة أو تغيير الكلمة , لكي تكون واضحة ومفهومة للقارئ.

وأذكر إحدى المقالات كان الأخذ والرد بيني وبين المحرر أكثر من عشر مرات , حتى إقتنع بأن ما جاء بالمقالة أصبح سهلا وواضحا ومفهوما.

تعلمت من هذه التجارب أن أكتب ما يفهمه القارئ ويتعلم منه , وفي أفضل حالات الوضوح والتبسيط

تعلمت من تفاعلي مع المجلات الرصينة العالمية , أنهم لكي ينشروا لي مقالة يحاسبونني على كل كلمة وعبارة , ويطلبون إعادة كتابة العبارة أو تغيير الكلمة , لكي تكون واضحة ومفهومة للقارئ

تعلمت من هذه التجارب أن أكتب ما يفهمه القارئ ويتعلم منه , وفي أفضل حالات الوضوح والتبسيط والمباشرة , لكي أشد القارئ وأمنحه شيئا من متعة القراءة

الكتابة عناء ومهارة لا تُكتسب بسهولة , وإن كانت موهبة فتحتاج لصقل وتهذيب وترتيب وتدريب

بسبب فقدان أصول الكتابة وتقنياتها تجدنا نكتب لأنفسنا , وما نكتبه لا يتفاعل مع الناس , ولا تجد له صدى في الواقع

في واقع الكتابة أن عليك أن تكون قارئا مدمنا لكي تكتب , وإن لم تقرأ فلا يمكنك أن تكتب بقدرات ذات قيمة معرفية

والمباشرة , لكي أشد القارئ وأمنحه شيئا من متعة القراءة.

وكثيرا ما أتحوّل إلى ناقدٍ قاسٍ لما أكتبه , وأحاول أن أعيد ترتيب العبارات ونسق الأفكار , لكي تكون منسابة وقادرة على تشجيع القارئ على مواصلة القراءة , ولا أدري إن أفلحت ولا زلت أحاول!!

فالكتابة عناء ومهارة لا تُكتسب بسهولة , وإن كانت موهبة فتحتاج لصقل وتهذيب وترتيب وتدريب.

وبسبب فقدان أصول الكتابة وتقنياتها تجدنا نكتب لأنفسنا , وما نكتبه لا يتفاعل مع الناس , ولا تجد له صدى في الواقع , فما أكثر الأفكار القويمة المطروحة بأساليب غثيثة ومربكة!!

ترى إلى متى سنبقى نكتب لأنفسنا , ونتجاهل الكتابة للناس؟!!

رابعا: نكتب ولا نقرأ؟!!

فكرة الديمقراطية لا تعني الإنفلاتية , لكنها كذلك في مجتمعات تجهلها , وتتصورها كما تتوهمها , فتمضي في مسالك تدميرية تحسبها ديمقراطية.

ومن هذه الدروب أو المنزلقات أن الجميع في ليلة وضحاها أصبحوا كُتّابا , وراحو يسطرون ما يحلو لهم من الكلام وفقا لهذيانات حرية التعبير عن الرأي , وما يعبرون عنه لا يقترب من مفهوم الرأي وإنما هو ترجمة لشر مفلوت , وبرهنة على الركاكة والقحط المَعجمي والأسلوب القبيح.

فالجميع يكتبون , والقراء غائبون , والذي يكتب لا يقرأ!!

بينما في واقع الكتابة أن عليك أن تكون قارئا مدمنا لكي تكتب , وإن لم تقرأ فلا يمكنك أن تكتب بقدرات ذات قيمة معرفية , وإنما ستتحول إلى صنف الذين ينطبق عليهم المثل الشعبي " كلمن صخم وجهه صار حداد"!! (أي كل من إصطبغ وجهه بالسواد قال أنا حَدّاد)

الكتابة مسؤولية أخلاقية وفكرية وثقافية تتطلب جدا وإجتهادا وأمانا وإخلاصا للكلمة وحرصا على اللغة , وروحا ذات نزاهة وإيمانٍ بالحقيقة وفقا لمعطيات وبراهين ودلائل رصينة وصادقة.

ولا يمكن لمن يكتب أن يكون مخمورا بالإنفعالية والعاطفية والتطرفية والطائفية والفئوية , والأفكار والمشاعر السلبية الداعية للكراهية والبغضاء والعدوان , والحث على الإجهاز على الإنسان , ولهذا فأن مثل هذه التطلعات الخبيثة ممنوعة في مجتمعات الدنيا ويُحاسب عليها القانون.

فالكتابة في مجتمعات ذات قيم وأخلاق ومفاهيم رحمانية وإنسانية , عليها أن تتعلم كيفيات التعبير الطيب وإنتقاء المفردة الجميلة المؤلفة للقلوب والأرواح , لكي تتهذب النفوس وترتقي التفاعلات وتتآزر الجهود وتنسبك القدرات في سبل الحياة الحرة الكريمة.

وما يجري في واقعنا الإعلامي يشير إلى إنفلاتية عدوانية وإنسكابية بغضاوية , تميل لتثمير الأحقاد والدعوة للكراهية والتمزق والإنقراض , وكأنها تجري على سياق ما مطلوب إثباته , وهو أن تضيع أمة العرب وتندحس في الأجداث.

فهل من إحترام للكلمة والتورع في الكتابة , لأن الكلمة الخبيثة طاعون الرؤوس والنفوس!!

خامسا: لماذا تكتب عن أعلام الأمة؟!!

والجواب , أن البحث فيما يعتري الأمة يكشف عن زعزعة نفسية تعصف في مسيرة الأجيال , لتوهمهم بأنهم عجزة , وخارج عصرهم وعليهم بالتبعية والخنوع للغير , وبإستلطاف مشاعر الدونية والإنكسارية

الكتابة مسؤولية أخلاقية وفكرية وثقافية تتطلب جدا وإجتهادا وأمانا وإخلاصا للكلمة وحرصا على اللغة , وروحا ذات نزاهة وإيمانٍ بالحقيقة وفقا لمعطيات وبراهين ودلائل رصينة وصادقة

الكتابة في مجتمعات ذات قيم وأخلاق ومفاهيم رحمانية وإنسانية , عليها أن تتعلم كيفيات التعبير الطيب وإنتقاء المفردة الجميلة المؤلفة للقلوب والأرواح , لكي تتهذب النفوس وترتقي التفاعلات وتتآزر الجهود وتنسبك القدرات في سبل الحياة الحرة الكريمة

هل من إحترام للكلمة والتورع في الكتابة , لأن الكلمة الخبيثة طاعون الرؤوس والنفوس!!

لكي نبني إرادة الأمة ونرمم نفسيتها المتضررة , لا بد من إستحضار ما هو إيجابي في مسيرتها , لتنبيهها على أنها أمة ذات طاقات وقدرات ومهارات تؤهلها لكينونة حضارية أصيلة سامقة

من أهم وسائل علاج الوهن والإحباط والخوار النفسي , أن نستحضر رموزها وأعلامها الذين واجهوا الصعوبات والتحديات , وعبّروا عن جوهرها المعرفي والعلمي , وما تنازلوا عن دورهم القيادي الإنساني الذي دفع

والخمود والقنوط.

ولكي نبني إرادة الأمة ونرمم نفسيتها المتضررة , لا بد من إستحضار ما هو إيجابي في مسيرتها , لتنبيهها على أنها أمة ذات طاقات وقدرات ومهارات تؤهلها لكينونة حضارية أصيلة سامقة.

ومن أهم وسائل علاج الوهن والإحباط والخوار النفسي , أن نستحضر رموزها وأعلامها الذين واجهوا الصعوبات والتحديات , وعبّروا عن جوهرها المعرفي والعلمي , وما تنازلوا عن دورهم القيادي الإنساني الذي دفع بعجلة التطور إلى ما هي عليه اليوم.

فالأمة حية وتكنز القابليات والقدرات الكفيلة بتأكيد ذاتها وبناء موضوعها , والإنطلاق في تفاعلاتها المتميزة مع الآخرين من أبناء الدنيا أجمعين.

إنها أمة حضارات , ولم تكن أمة بلا جذور وإمتدادات في أعماق الأزل الذي بدأت منه الخطوات.

ولهذا فأن التذكير بدورها وقيمة ما قدمته للإنسانية من إنجازات أصيلة , يساهم في ضخ الأجيال بالمعنويات الإيجابية المحفزة على توطيد الثقة بالنفس , والعمل الجاد للإتيان بما يتناسب وجوهر الكوامن المكبوتة في دنيا الأجيال , التي يتم تعويقها وتعضيلها بالأضاليل والتقولات المجردة من الرصيد البرهاني والدليل الواضح.

فواقع الأمة يقول بأنها حية متفاعلة مع أزمنتها , بإرادة مقدامة وثقة وإيمان وتفاؤل , وإصرار على إنجاز ما تريده من أهداف سامية ذات إشراق وتباشير إتيان.

فالأجيال عندما تدرك حقيقة مسيرتها وجذورها , ستتوثب وترفد الحياة بما فيها من الأفكار الجادة , والتطلعات الماجدة الكفيلة برسم خارطة المجد العربي الأثيل.

فتحية لأجدادنا , فهم قدوتنا وموئل وجودنا السامق النبيل!!

وفي الختام . الكتابة حرفة أو صنعة لها أدواتها ومهاراتها , التي برع فيها أجدادنا , وأحدثوا الثورات التعبيرية والأسلوبية , وبرز منهم الكتاب الكبار الذي وضعوا الأسس القويمة لفن الكتابة , ولاتزال كتاباتهم ذات أريج فوّاح وعطر تعبق منه الأجيال , وعلينا أن نقتدي بهم ونعطي للكتابة قيمتها وجماليتها ودورها الإيجابي في صناعة الفكر الحضاري المنوّر للحياة.

بعجلة التطور إلى ما هي عليه اليوم.

إنها أمة حضارات , ولم تكن أمة بلا جذور وإمتدادات في أعماق الأزل الذي بدأت منه الخطوات

فواقع الأمة يقول بأنها حية متفاعلة مع أزمنتها , بإرادة مقدامة وثقة وإيمان وتفاؤل , وإصرار على إنجاز ما تريده من أهداف سامية ذات إشراق وتباشير إتيان

الكتابة حرفة أو صنعة لها أدواتها ومهاراتها , التي برع فيها أجدادنا , وأحدثوا الثورات التعبيرية والأسلوبية , وبرز منهم الكتاب الكبار الذي وضعوا الأسس القويمة لفن الكتابة

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa329-160522.pdf

**** **** ****

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2022 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الحادي عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 19 على الويب

22 عاما من الكدح... 19 عاما من الإنجازات
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf